رسالة الكويت

رسالة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية

السنة الرابعة عشرة – العدد [٧١] ذو القعدة ١٤٤١هـ/ يوليو ٢٠٢٠م

مركز البحوث والدراسات الكويتية

في هذا العدد

- افتتاحية العدد
- الكويت في زمن الجوائح كورونا - كوفيد ١٩ والإنفلونزا
- من تاريخ الأوبئة في الكويت وجاراتها
- تجارة الصوف والجلود في الكويت من خلال وثائق الخرافي والسديراوي
- أخبار الجمعية الخيرية سنة ١٩١٣م «من أوراق محمد سالم السديراوي» (٢)
- الكويت وعلاقاتها الخارجية في الخمسينيات يوميات ومحاضر سياسية (٤)
- من مكتبة المركز

الافتتاحية

عزيزي القارئ:

يصدر هذا العدد من «رسالة الكويت» والعالم بأجمعه يعاني من جائحة كورونا (كوفيد١٩) التي قد تسببت في إصابة ما يزيد على سبعة ملايين شخص في أنحاء الأرض، بالإضافة إلى مئات الآلاف من الموتى. ولم تكن الكويت بعيدة عن هذه الجائحة المرضية؛ فقد تجاوزت حالات الإصابة فيها ٤٠ ألف حالة، كما تجاوز عدد الوفيات حتى كتابة هذه الكلمة ثلاثمائة حالة.

وكانت الإجراءات التي اتخذتها حكومة الكويت والإستراتيجية التي انتهجتها في مواجهة هذه الجائحة محل تقدير وإعجاب على المستويين؛ المحلي والدولي؛ فقد أسهمت تلك الإجراءات في تمكين المنظومة الصحية في الكويت من الصمود أمام هذه الجائحة الكبيرة التي انهارت أمامها عدد من الدول المتقدمة. وكان للمؤسسات الحكومية والأهلية دور كبير في دعم الجهود الحكومية، وإسهام كلٍّ في مجاله لمحاصرة هذا الوباء والحد من تفشيه.

وما مرت به الكويت خلال هذه الجائحة من تداعيات يقتضي إعادة النظر في كثير من الإستراتيجيات العامة للدولة، واتخاذ إجراءات اقتصادية واجتماعية جديدة تتلافى بها ما قد كشفت عنه هذه الأزمة الصحية من سلبيات.وعلى المواطنين أيضاً أن يتحملوا جانباً من مسؤولية الحفاظ على هذا الوطن ومستقبل أبنائه.

وندعو الله عز وجل أن يدفع عنا هذا البلاء،وأن يكشف عنا الضر ، وأن يمنّ على كويتنا الحبيبة بالأمن والاستقرار والرخاء.

وما توفيقنا إلا بالله

أ.د. عبدالله يوسف الغنيم

رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية

مركز البحوث والدراسات الكويتية

ص .ب : ١٠٢٤ دسمان – رمز بريدي : ١٥٤٦١ الكويت – ت : ٢٢٢١٠٨٩٨ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٢٢١٠٨٨٠ (٠٠٩٦٥)

E-mail: crsk@crsk.edu.kw - homepage: http://www.crsk.edu.kw

من تاريخ الأوبئة في الكويت وجاراتها

بقلم : أحمد البشر الرومي (رحمه الله)

[نُشر هذا المقال أول مرة في مجلة الرائد الكويتية في مارس ١٩٥٣م، ثم اعيد نشره في كتاب "مقالات عن الكويت"، الصادر عن مكتبة الأمل بالكويت عام ١٩٦٦م. ولما كان هذا الموضوع له ارتباط بالموضوع السابق، ويقدم تفصيلات مهمة حول الأوبئة التي حلّت بالكويت وجاراتها في تاريخها المعاصر، فقد وجدنا من المناسب إعادة نشره تعميما للفائدة]

قبل أن يُعرف اللقاح الواقي ضد الأوبئة السارية الفتاكة – وعلى الأخص الطاعون – كان سكان كل قطر من الأقطار معرضين في كل لحظة إلى ما يشبه الفناء التام من جراء انتشار الوباء الذي لا يقاوم ولا يُصد.

ولقد كان للرعب والذهول الذي يستولي على الناس في أثناء حدوث أول إصابة بالطاعون في ذلك الزمان ما لا يستطيع أن يتصوره إنسان هذا اليوم، ذلك لأن الناس اليوم لم يشهدوا مأساة إنسانية من هذا النوع، إذا استثنينا وباء الأنفلونزا في أعقاب الحرب العالمية الأولى، ذلك الوباء الذي أهلك الحرث والنسل مع أنه لم يكن شيئاً بالنسبة إلى ما كان قبله، ولم تكن تلك الأوبئة المروعة منذ عام ١٢٧٠هـ نادرة الوقوع، بل كانت تحدث في كل بضعة أعوام تقريباً، وليس ما عرفناه منها هو كل ما حدث، بل إن هنالك الشيء الكثير مما لم يسجله التاريخ ولم تنقله الرواة إلينا، فالمؤرخون في خلال الثلاثمائة سنة الماضية كانوا قلة ، والعجيب أن علماء هذه الحقبة وأدباءها ألفوا كتباً لا تُعد ولا تحصى في الدين وفي فنون الشعر والأدب، إلا التاريخ فإنهم لم يهتموا بتدوينه وكتابته،وما وقع منه تحت أيدينا إلا النزر القليل الذي لا يفي بالغرض ، وكل ما كتب في تاريخ هذه الفترة، إنما دوّن أخبار البلاد المجاورة، أما الكويت خاصة فإنه لم يؤلف ولم يكتب أي تاريخ في أي نوع من الأحداث.

أما ما نسمعه من ألسنة الشيوخ والعجائز من حوادث وأخبار فقد استحالت بمرور الزمن إلى ما يشبه الأساطير والخرافات، مما جعل من الصعب على المؤرخ استخلاص الحقيقة منها، ولذلك فإنه لا يمكن للمؤرخ أن يعتمد فيما يكتبه على ما يرويه أولئك الرواة عن أي موضوع تاريخي مرّ عليه أكثر من قرن.

ولهذا فإننا سنعتمد فيما نكتب عن موضوع "الطاعون في الكويت عام ١٢٤٧هـ – ١٨٣١م" على ما كتبه مؤرخو البلاد المجاورة في ذلك الزمان، ثم نضيف إليه ما نعلمه وما نستخلصه من الروايات عما حلّ بالكويت في أثناء انتقال هذا الوباء إليها.

لم يكن طاعون ١٢٤٧هـ(١٨٣١م) هو الوباء الذي فتك بالناس، بل سبقته عدة أوبئة وأعقبته أخرى كما ذكرنا؛ ففي عام ١٠٤٥هـ (١٦٣٥م)

دهم الطاعون أنحاء العراق كافة وفتك بأكثر السكان، كما حدث عام ١١٠١هـ (١٦٨٩م) طاعون مبيد أهلك أكثر سكان العراق أيضاً،وقال محمد بن حيدر: "هذا الطاعون لم يُعهد مثله لأنه أفنى البصرة وخرّبها خراباً لم يعمر إلى زماننا هذا، وأهلك في بغداد أمماً كثيرة [١] ". وجاء من مصدر آخر [٢] : " أنه حدث سنة ١١٠٢ هـ / ١٦٩٠م أن تفشى في هذه السنة طاعون وبيل في البصرة أخمد فيها الحياة، فقد كان الناس يموتون بمقدار خمسمائة في كل يوم، وتكدّست الجثث في الأزقة وبقيت غير مدفونة، وعانت الويلات من وطأته جميع الطبقات غنيها وفقيرها، حتى الحامية الأجنبية فيها، فاغتنمت القبائل في الخارج – ولم يكن تأثرها به أقل – الفرصة ، فاجتمع في المنتفق والجزائر ثلاثة آلاف هاجمت المدينة، ولم يكن بين أسواق البصرة والعرب من النازحين من هذا الطاعون إلا القليل. وقيل إن هذا الطاعون أخلى البصرة، فمات من أهلها ثمانون ألفاً، وفرّ من بقي منهم إلى خارج البلد فبقيت مدة ثلاث سنوات بعد الطاعون بلقعاً تسكنها الوحوش الضارية التي أخرجها العرب من البلدة في الأخير [٣] ".

وفي عام ١١٣٢ هـ – ١٧١٩م ، تفشى الطاعون في العراق فأهلك ما يقارب تسعين ألفاً من الناس [٤] . وفي عام ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣م تفشى في البصرة طاعون مريع أباد أكثر أهل البصرة، وكانت أكثر الأبنية فيها معطلة إلا من القليل من السكان ممن تخطاهم المرض [٥] .

وقبل إنه مات من أهل البصرة في هذا المرض ثلاثمائة وخمسون ألفاً، ومن أهل مدينة الزبير ستة آلاف نسمة [٦].

وفي عام ١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠م قدمت الهند للبحرين هدية من أفتك الهدايا إذا صح التعبير، هذه الهدية هي الكوليرا، وقد وزعتها البحرين على البلاد المجاورة كنجد والعراق، وسمي هذا الوباء في البحرين "الضرب الأول [٧] "

وجاء في عنوان المجد بصدد هذا الوباء ما نصه بالحرف:"وفي هذه السنة (أي ١٢٣٦هـ) حدث الوباء العظيم الذي عمّ الدنيا وأفنى الخلائق في جميع الآفاق، وهو الوجع الذي يحدث في البطن فيسهله وتقيئ الكبد، ويموت الإنسان من يومه ذلك أو بعد يومين أو ثلاثة، ولم أعلم أنه حدث قبل هذه في الدنيا، وكان أول حدوثه في ناحية الهند، فسار في هذه السنة إلى البحرين والقطيف، وفني بسببه خلائق عظيمة،ثم وقع في الأحساء والبصرة والعراق والعجم وغير ذلك [٨] ".

كل هذه الأوبئة التي مرّ ذكرها أوبئة سارية تنتقل بسرعة من قطر إلى قطر حاملة الفزع

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ص ١٠٢.
(٢) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، تعريب جعفر الخياط، ص ١١٣، الطبعة الثانية.
(٣) حاشية أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص١١٣.
(٤) عنوان المجد، ص٢١١.
(٥) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، الطبعة الثانية، ص١٧٧.
(٦) تاريخ نجد، ص٦١.
(٧) تاريخ البحرين للنبهاني ، قال :"سمي الضرب الأول لأنه حدث بعده في سنة ١٢٨٨هـ وباء الكوليرا مرة ثانية فسمي الضرب الثاني تمييزاً عن الأول" .
(٨) عنوان المجد، الجزء الأول، ص٢٢٩.

(homepage: http://www.crsk.edu.kw)
(حقوق الطبع والنشر محفوظة)

والموت. وإذا علمنا أنه ليس هناك أية وقاية معروفة أو علاج علمي في ذلك الزمن جزمنا بأن أكثر هذه الأمراض لم يتخطَّ الكويت، وخصوصاً ثغر البصرة، حيث كانت السفن البصرية والكويتية تتردد بين الطرفين في كل يوم. فالكويت في ذلك الحين كانت تجلب من البصرة أكثر حاجاتها كالرز (الشلب)، والتمر وجذوع النخل، والفواكه بأنواعها وسعف النخل وأشياء كثيرة يصعب حصرها، والقوافل بين الكويت ونجد لا تنقطع طوال السنة، ففي كل يوم تصل قافلة وتغادر أخرى، إذن فمن غير المعقول أن تكون الكويت في نجوة من كل هذه الأوبئة، فإذا قلنا إن الكويت عانت الويلات من هذه الأوبئة، وأفنت أكثر سكانها على دفعات، لم نكن بعيدين عن الصواب، وإذا علمنا أن أكثر أحياء المدينة اليوم كانت مقابر سابقاً كما شاهدنا أثناء حفريات البلدية التي قامت لشق طريق السيول، وما يرويه الشيوخ والعجائز عن بعض أحياء كانت مقابر سابقاً، وما تخلّف من بقايا القبور التي كانت في بعض الساحات "البرايح" تأكدنا من أن جميع أحياء المدينة كانت مقابر، عدا قسم صغير منها هو محلة "الشيوخ" ومحلة "السعود".

ذلك لأن مساحات تلك المقابر المعروفة في البلد لا تتناسب مع صغر المدينة في ذلك الحين، فالكويت لم تكن مدينة بالمعنى الصحيح قبل سنة ١٢٧٠هـ، بل كانت قبل ذلك أشبه بالقرية منها بالمدينة.

أما الطاعون عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م فكان من أفظع ما عرفه العراقيون والكويتيون والنجديون، حيث كان وباءً كاسحاً أفنى أكثر سكان هذه المناطق تقريباً.

ظهرت أولى الإصابات في هذا الطاعون في مدينة "تبريز" إحدى مقاطعات إيران. ولنترك الأستاذ جعفر الخياط يقصّ علينا حوادث هذا الوباء في العراق في ترجمته لكتاب أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، قال: " وصلت إلى بغداد في تموز ١٨٣٠م" إشاعات عن تفشي الطاعون في "تبريز"، وبعد شهرين تحقق تأثيره المروع وسرى شره في كركوك، وقد حدث فيها عدة إصابات طاعونية. وتواردت إليها شتى الأنباء عن تقدم الطاعون نحوها، فقد جاوز كركوك وأخذ يعيث بالسليمانية ، وعلى هذا أحضر طبيب المقيمية الإنجليزية في بغداد تعليمات كاملة لتنفيذ الحجر الصحي، وذلك بعد أن طلب إليه ذلك الوالي بنفسه، غير أن التأثيرات الرجعية التي أفتت بأن كل عمل يتخذ للحيطة يعد ضربا من الزندقة حالت دون تنفيذ معظم الاحتياطات، وأذن للقوافل الواردة من الأصقاع التي حل فيها الطاعون من إيران وكردستان في أن تدخل بغداد بكل حرية، وبعد مضي شهر وقعت أول إصابة طاعونية ، وكان حدوث الإصابات في البيوت القذرة من محلات اليهود، وفي أوائل نيسان حاول الكثيرون الفرار من المدينة، ولكن إلى أين؟ فقد استولت القبائل على الطرق كافة، وكانت السفن النهرية قليلة، يضاف إلى ذلك ازدحامها وتسرب الطاعون إليها. وقد بلغت الإصابات أشدها منذ اليوم الرابع من نيسان فبات الناس يموتون بمعدل مائة وخمسين في اليوم الواحد،

وقد حاول الباشا التركي وأهل بيته الفرار من المدينة غير أنهم لم يستطيعوا ترك ثروتهم المكدسة ولا حملها معهم.

وتجمع أخبار هذه الكارثة على تفشي الطاعون المبيد، وتبدلت الحال بين الناس من عدم المبالاة إلى الذهول والذعر، ومن الكآبة الصاخبة إلى صمت الموت والقنوط، ومات على هذه الحال حتى اليوم العاشر من نيسان سبعة آلاف من الناس في خلال خمسة عشر يوماً. ثم هلك في اليوم الحادي عشر ألف ومائتان، ومنذ هذا اليوم إلى اليوم السابع والعشرين كان عدد الميتين في كل يوم بين ألف وخمسمائة إلى ثلاثة آلاف. ولم يشف مريض واحد من كل عشرين مصاباً. وكان الطعام لا يوجد إلا في الندرة، ولم يشتغل السقاؤون، فركدت حياة المدينة بأسرها، ولم يفكر أحد في غير الموت والموتى، وعلى هذا توقفت أعمال الحكومة جمعاء لأن الموت هاجم الموظفين وأفراد الجيش، فقضى عليهم كقضائه على الناس وخابت مساعي الأحياء في دفن الموتى أمام سيل الموت الجارف حتى ظل الأموات مكدسة أشلاؤهم في الشوارع والأزقة، وهام الأطفال والعجزة على وجوههم في غير هدى وهم جائعون لا قبل لهم بشيء، وقد كثرت الجرائم والسرقات في هذا العهد الرهيب حتى قضى الموت على الجاني والبريء معاً[1] وفي نهاية الأسبوع الأول من ما يس زال خطر الطاعون، وبقي من سلم من السكان في عداد المرضى، ولم يزل ثقيلا عليهم عبء الجثث الملقاة في الأزقة تلعب بها الكلاب، ولم ينته أجل المآسي المحزنة التي لم يكن لها مثيل في هذه المدينة إلا بعد أن انقضى ثلثا الشهر الجديد".

فتصوّر هول هذه الكارثة في مدينة من المدن، أو قطر من الأقطار، إنها لاشك فوق التصور، فالناس يموتون بالجملة، والجثث تملأ الأزقة والطرقات، والكلاب والوحوش واللصوص تعبث بالبيوت وممتلكات الناس وهم عنها في شغل من الهول فظيع!

وإذا تركنا للأستاذ الخياط أن يحدثنا عما حل بالعراق من جراء هذه الكارثة فلنترك لمؤرخ آخر في قطر آخر أن يروي لنا هول هذا الطاعون من زاويته الخاصة.

وهذا المؤرخ هو الشيخ عثمان بن بشر النجدي، قال في تاريخه "عنوان المجد":

"وفي سنة ١٢٤٧هـ ، في هذه السنة وقع الطاعون العظيم الذي عمّ العراق والسواد والمجرة وسوق الشيوخ والبصرة والزبير والكويت وما حولها، وليس هذا مثل الوباء الذي قبله [٢] "، المسمى (العقاص) بل هذا هو الطاعون المعتاد ونعوذ بالله من غضبه وعقابه، وحلّ بهم الفناء العظيم الذي

(١) صادف أثناء حدوث هذا الطاعون في بغداد أن ارتفعت مياه دجلة عن المعتاد، ففي الحادي والعشرين من نيسان ١٨٣٠ أحاطت المياه ببغداد، فمنعت ألوف الناس من الفرار،وحالت دون ورود الأغذية إلى المدينة من الخارج، وبقي فيضان الماء يزداد فبلغ أعالي السداد، وكانت مهملة، وامتلأت السراديب، وفي ليل السادس والعشرين انهار قسم من المسناة، وقسم من القلعة، ففاض الماء، وتساقط على أثر ذلك ألفان من الدور في بضع ساعات، فاستحال السراي وبضعة آلاف من الدور في ضمن أربع وعشرين ساعة أنقاضاً متراكمة، ودفن فيها - في رمس مشترك - المرضى أو الأموات ، والقليل من الاحياء الباقين. (عن : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث).

(٢) يقصد وباء الكوليراعام ١٢٣٦ هـ/ ١٨٢٠م.

(homepage: http://www.crsk.edu.kw)

(حقوق الطبع والنشر محفوظة)

انقطع منه قبائل وحمائل، وخلت من أهلها منازل، وإذا دخل في بيت لم يخرج وفيه عين تطرف، وجثا الناس في بيوتهم لا يجدون من يدفنهم، وأموالهم عندهم ليس لها وال، وأنتنت البلدان من جيف الإنسان، وبقيت الدواب والأنعام سائبة في البلدان ليس عندها من يعلفها ويسقيها حتى مات أكثرها، ومات بعض الأطفال عطشاً وجوعاً، وخرّ أكثرهم في المساجد رجاء أن يأتيهم من ينقذهم فيموتون فيها لأنه لا يقام فيها جماعة، وبقيت البلدان خالية لا يأتي إليها أحد، وفيها من الأموال ما لا يحصي عده إلا الله تعالى، فلما كان في النصف من ذي الحجة من السنة المذكورة ارتفع بإذنه تعالى، واجتمع أناس من بقية الهاربين فدخلوا الزبير وأطراف البصرة، ونهبوا من الأموال ما لا يحصى وليس لهم صادّ ولا رادّ، ثم تراجع بعد ذلك في البلدان من كان مسافراً أو حاجّاً، ومن كان قد برئ ومن كان سالماً وهم القليل، فضبطوا بلدانهم وحموها، فلما علم بذلك أهل نجد وكان أكثر من في تلك البلدان أرحاماً لهم وأصهاراً، سافروا إليها وأخذوا ما وجدوا من تراثهم وتفرقت أموالهم في يد الوراث وغير الوارث، كما قيل مصائب قوم عند قوم فوائد[1]".

أما مقدار فداحة هذه الكارثة في الكويت فليس لدينا أي مصدر نستقي منه بدقة صورة صحيحة تصوّر لنا ما حدث. وكل ما نعلمه بصدد ذلك لا يعدو الروايات نستخلصها من أفواه الشيوخ والعجائز، وعلى هذا عوّل الشيخ عبدالعزيز الرشيد في تاريخه فقد ذكر هذا الطاعون فقال: " أصيبت الكويت في عام ١٢٤٧هـ بطاعون عظيم قضى على كثير من أهلها حتى كادت تصبح منه قفراً يباباً لولا المسافرون من أهلها الذين لم يتراجعوا إليها إلا بعد صفاء جوها من تلك الظلمة، رجعوا إليها ولكن وجدوا الطاعون قد فتك بكثير من نسائهم فاضطروا إلى استقدام عوضهن من البلاد المجاورة كالزبير ونجد وغيرهما، وبذلك حفظوا البلد من العدم والفناء، وفي أثناء تلك المعمعة أغلق أهل بيت في "الشرق" دارهم وادخروا فيها ما يكفيهم من طعام وشراب ولم يسمحوا لأحد بالدخول عليهم خوفاً من تسرب العدوى.

فكان هذا البيت من جراء هذا التحفظ هو الوحيد في الكويت الذي لم يُصب من يد الطاعون بضرر، غير أن امرأة حاولت الخروج لتنظر ما أصاب أهلها فأنزلوها بحبل من السطح، ثم رجعت إليهم أخيراً فلم يفتحوا لها فرجعت أدراجها وقضي عليها كما قضي على غيرها".

هذا كل ما ذكره الشيخ عبدالعزيز الرشيد في تاريخه عن هذا المرض.

وأعتقد أن فتك هذا الطاعون في الكويت[2] لا يقل فداحة عما حدث في العراق وفي نجد، فالمصادر الشفهية تجمع على أن هذا الطاعون أفنى أكثر من

(١) في هذا الطاعون توفي الشاعر المشهور محمد بن حمد بن لعبون المدلجي الوايلي في الكويت.

(٢) لكي تستطيع أن تأخذ صورة بسيطة عن الكويت في عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م أي نفس العام الذي حدث فيه الطاعون في الكويت نورد لك ما قاله الرحالة Stocqueler الذي زار الكويت في ذلك العام، قال: " تمتد مدينة الكويت على الشاطىء نحو ميل، وعدد سكانها أربعة آلاف نسمة، وتحكم المدينة بواسطة شيخ ليس لديه أي قوة مسلحة، ويحصل على ضريبة قدرها ٢٪ على جميع الواردات".

ثلاثة أرباع أهل الكويت. فكانت الجثث تُحمل إلى المقابر في أول الأمر، فلما استفحل أمر هذا الوباء، واشتد، وكثر الموتى تُركت الجثث في البيوت، إذ ليس هناك من يحملها إلى المقابر، وتروي بعض هذه المصادر أنه كان من حسن حظ بعض أحياء المدينة أن كانت بقربهم حفر كبيرة حُفرت لنقل الطين منها فأصبحت هذه الحفر مقابر بالجملة، تملأ بالجثث للتخلص منها ومن عفنها ومنظرها!!

وتقول الروايات أيضاً إن أحد مشايخ الدين أشار في شدة الوباء على الكويتيين أن يغادروا المباني والبيوت فتركوها وابتنوا لهم أكواخاً في "الشويخ" وكان القادم إليهم يسمع التهليل والحوقلة قبل وصوله إليهم بمسافة بعيدة، وبقوا أياماً في هذه الأكواخ والخيم، يدعون الله أن يرفع عنهم هذه النازلة الفظيعة، إلى أن توقفت الإصابات فرجعوا إلى بيوتهم.

وقد حدث هذا الطاعون كما قيل في أيام الشتاء، وكانت سفن الكويت التجارية التي تسافر إلى الهند في مثل هذا الفصل من كل عام خارج الكويت، وكان تحمل عدداً لا بأس به من الرجال ... هؤلاء نجوا من شر الوباء، إذ صادف حدوثه في غيابهم، وكانوا إما في عرض البحر أو في الهند ولم يكن الطاعون قد وصل إلى هناك، فلما وصلوا إلى الكويت وجدوها توشك أن تكون خالية من السكان، إلا من بعض الضعاف الذين نجوا من الموت، فكانوا الأساس الثاني الذي انتشل الكويت من الفناء المحتم والانقراض التام. وإنه لمصاب عظيم حين يجد المرء نفسه بين مرضى لم يبق على مفارقتهم الحياة إلا بضع ساعات، وبين جثث متراكمة ملقاة في الطرقات والأزقة والبيوت لا تجد من يواريها التراب وبين أطفال تصرخ إما من ألم المرض أو من فقدهم من يقوم على إطعامهم ورعايتهم، فتجدهم يهيمون على وجوههم في الشوارع تتلقفهم الإصابات الطاعونية في كل لحظة، ومهما فكر المرء في ذلك اليوم ليبحث له عن طريق للخلاص، فإنه عاجز عن ذلك، فقد كانت كل أبواب الخلاص في ذلك اليوم مقفلة، وكل سبل الفرار مسدودة ... كان أهل الكويت في ذلك اليوم كما قيل: البحر أمامهم والصحراء خلفهم والطاعون عندهم فليس لهم إلا الصبر.

ويشاء القادر القدير فيتلاشى المرض شيئاً فشيئاً حتى ينعدم قبل أن تنعدم الكويت، وإذا الأحياء من أهلها لا يجدون من يمتّ إليهم بصلة القرابة إلا النادر القليل، ويتنفس شاعرهم النبطي الصعداء، ويتلفت يمنة ويسرة فيجد الأرض كما كانت، ولكنه لا يجد الأهل والأصحاب والأحباب فتذرف عيناه ويشرق بالدمع ثم يرفع عقيرته متألماً لينفس عن نفسه ويقول[1]:

شفنا المنازل مثل دَوْي الفضا
عقب السكن صارت خلايا مخاريب
واحسرتي ليمَنّ طراً ما مضى
عصر يذكرني الأهل والأصاحيب[2]

(١) من قصيدة طويلة (فن) يقال أن ناظمها سعود بن محمد وهو الذي سمي أحد أحياء الكويت باسمه (فريج سعود).

(٢) أصبحت المنازل خالية مثل الصحراء وبعد ما كانت مسكونة أضحت خربة، فيا أشد ألمي إذا تذكرت ما مضى لي من عصر فاشتقت إلى أهلي وأصحابي.

(homepage: http://www.crsk.edu.kw)
(حقوق الطبع والنشر محفوظة)

تجارة الصوف والجلود في الكويت
من خلال وثائق الخرافي والسديراوي

إعداد: د. فيصل عادل الوزان

استمرارا في مسعانا لتوثيق ودراسة أنواع البضائع الثانوية التي تاجر بها الكويتيون، والتي شكلت جزءا من اقتصاد الكويت قبل النفط، نقدم بحثا عن تجارة وتصدير الصوف والجلود، وذلك من واقع الوثائق الأهلية التي يحتفظ بها مركز البحوث والدراسات الكويتية، وتخص عددا من تجار الكويت؛ منهم المرحوم حسين عبدالمحسن الخرافي والمرحوم محمد سالم السديراوي. وسنستعين أيضا بالأرشيف البريطاني، وبالمادة الشفوية المستقاة من العاملين بمهن الدباغة وإعداد وصناعة المنتجات الصوفية والجلدية التي وثقها الأستاذ محمد عبدالهادي جمال في دراساته.

لا شك أن تجارة الصوف والجلود المرتبطة بتربية الأغنام والمواشي قد مورست منذ بداية الاستيطان في الكويت، لكن أقدم الأدلة المتاحة لدي عن تصدير الصوف تعود إلى ستينيات القرن التاسع عشر، حين وصف المقيم السياسي البريطاني لويس پلي تجارةَ الكويت قائلا: إنها تُصدِّرُ – إلى جانب الخيول والتمور – صوفاً بقيمة ٤٠ ألف روبية.[١] وهو ما أكده سكرتيره أحمد المنشي في تقريره الاقتصادي، الذي بيّن فيه حجمَ تلك التجارة في الخليج العربي عامةً، مسجلا أن البصرة كانت تُصدر صوفاً قيمته بالروبية ٢٠٠,٠٠٠، والمحمرة بمبلغ ١٢٥,٠٠٠، وبوشهر بمبلغ ٢٠٠,٠٠٠، وبندر عباس بمبلغ ٢٠٠,٠٠٠ روبية.[٢] ولم تُذكر الجلود في تقريريهما.

ومع تطور الكويت وزيادة سكانها ورأسمالها، تضخمت تجارة الصوف والجلود. وأسهم في ذلك قوة علاقة تجارة الكويت مع تجار القوافل في الجزيرة العربية من العقيلات، ومع قبائل البادية الكويتية والعراقية والنجدية التي كانت تبيع منتجاتها من أغنام وأصواف وجلود في سوق الكويت، ولها تعامل خاص مع بعض التجار، بالإضافة إلى فتح التجار الكويتيين لمكاتب ومحلات تجارية في الهند واليمن واستقرار بعضهم هناك لتسويق المنتجات الكويتية وتصدير المنتجات العالمية إليها.

وقد لاحظ الرحالة الأمريكي لوشر (الصحيح لوكر)، الذي زار الكويت سنة ١٨٦٨م، أن من بين السلع المهمة التي كان يصدرها الكويتيون من أجل الحصول على الأموال اللازمة لشراء

(1) Lewis Pelly, 'Journal, Private, 1865, Persian Gulf', British Library: India Office Records and Private Papers, Mss Eur F126/65, ff 1-6, in *Qatar Digital Library* <https://www.qdl.qa/archive/81055/vdc_100023832415.0x000001> [accessed 19 May 2018]

(٢) فيصل الوزان، اقتصاد الخليج في ستينيات القرن التاسع عشر، ط.١، الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، ٢٠١٩م، ص. ٢٥، ٥٩، ٦٦.